

العميق .. ونموذج العصيان المطلق والاستكبار المقيت .. وطبيعة ثالثة هي الطبيعة البشرية . وسنعلم خصائصها وصفاتها المزدوجة فيما سيجيء .

فأما الطبيعة الأولى : فهي خالصة لله ، وقد انتهى دورها في هذا الموقف بهذا التسليم المطلق .. وأما الطبيعتان الأخريان ، فسنعرف كيف تتجهان .
﴿ قال مامعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ ..

لقد جعل إبليس له رأياً مع النص ، وجعل لنفسه حقاً في أن يحكم نفسه وفق ما يرى هو من سبب زعلة مع وجود الأمر .. ونحن يوجد النص القاطع والأمر الجازم ينقطع النظر ، ويطلق التفكير ، وتتعين الطاعة ، ويتحتم التنفيذ .. وهذا إبليس - لعنه الله - لم يكن ينقصه أن يعلم أن الله هو الخالق المالك الرازق المدبر الذي لا يقع في هذا الوجود شيء إلا بإذنه وقدره .. ولكنه لم يطع الأمر كما صدر إليه ولم ينفذه .. بمنطق من عند نفسه :
﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ ...

فكان الجزء العاجل الذي تلقاه لتوه : ﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ ...

إن علمه بالله لم ينفعه ، واعتقاده بوجوده وصفاته لم ينفعه .. وكذلك كل من يتلقى أمر الله ، ثم يجعل لنفسه نظراً في هذا الأمر يترتب عليه قبوله أو رفضه ، وحاكمية في قضية قضى الله فيها من قبل ، يرد بها قضاء الله في هذه القضية .. إنه الكفر إذن مع العلم ومع الاعتقاد ، فإبليس لم يكن ينقصه العلم ، ولم يكن ينقصه الاعتقاد !

لقد طرد من الجنة ، وطرد من رحمة الله ، وحقت عليه اللعنة ، وكتب عليه الصغار . ولكن الشرير العنيد لا ينسى أن آدم هو سبب الطرد والغضب ، ولا يستسلم لمصيره البائس دون أن ينتقم ، ثم ليؤدي وظيفته وفق طبيعة الشر التي تمحضت فيه :
﴿ قال أنظرنى إلى يوم يعثون ﴾ قال إنك من المنظرين * قال فما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ ...